جامعة تكريت/ كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية

المرحلة: دكتوراه الأدب

مادة: قراءة جديدة في نص أدبي قديم

محاضرة: أثر الغناء والموسيقى على الشعر العباسي

مدرس المادة: أ.د. أسماء صابر جاسم

المحاضرة: السادسة

١٤٤٥هـ **٢٠٢٤م**

الموسيقى والغناء في العصر العباسي الأول

اهتمّ العباسيون اهتماماً كبيراً بالفن والموسيقى، وفيما يأتي تفصيلٌ لاهتمام العباسيين بالموسيقى والغناء وتطويرهم لها:

نشأة الموسيقى والغناء في العصر العباسي الأول

دخل النشاط الموسيقيّ في العصر العباسيّ الأول، واهتمّ العباسيون بهذا النشاط ولم يكن جديدًا عليهم، إذ كان من الجاهلية مثل الغناء البسيط الذي كان يُسمّى بالحذاء الذي اشتقّ منه الغناء المعروف، وتطوّر الغناء في العصور العباسية وبلغت ذروة الكمال والتطور عند بروز المُغنيين أمثال إبراهيم الموصلي وإسحاق وغيرهم، وقد شاركت المرأة أيضًا بذلك.

عوامل تطور الموسيقى والغناء في العصر العباسي الأول

تأثّر ظهور الغناء والموسيقى بعوامل عدّة منها ظهور الفرس بعد الفتوحات فغنوا بالعيدان والمزامير والطنابير والمعازف، فسمع العرب ذلك فتأثّروا فيهم، ولاسيما من خلال الجواري الفارسيات اللواتي دخلوا كجواري الحرب، وقد كان للمغنيين دوراً كبيراً في تطوُّر الغناء والموسيقى لأنّهم حملوا ذلك من ثقافاتهم المُتعدّدة. كان لعناية الخلفاء بهذا الفنّ الأثر الكبير، فقد كانوا يكرمون المُغنين، ويجزلون لهم العطاء، ويفاضلون بينهم، ويتّخذونهم من الندماء، ولا يُفارقونهم أبدًا، وكان المُغني إن عظُمت منزلته عند الخليفة استدعاه متى شاء، وصار قريبًا منه، وبلغ في الخلفاء أنّهم كانوا يقصدون المغنيين في بيوتهم وقاموا بتعليم أبنائهم الغناء، ويُحاولونه بأنفسهم. جمع الرشيد بين المغنين المتعصبين للقديم وهم إبراهيم الموصلي وابنه إسحق، وبين نصراء التجديد أمثال إبراهيم بن جامع، وكان من عناية الخلفاء بالمغنيين أنهّم أسقطوا الكلفة عنهم، وكانوا يزورونهم في منازلهم، ويُقدّمون لهم أياما معينة في الأسبوع يستمتعون فيها مع عائلاتهم، حتّى أقبل بعضهم على تعلم الغناء والبراعة فيه. ظهرت عنايتهم الشديدة أيضاً من خلال تعليمهم للجواري إضافة إلى وجود القيان اللاتي أظهرن براعة في الجمال والأنوثة والأدب والصوت الجميل والعزف البارع، وبالتالي تطور هذا الفن، لاسيما مع ظهور الألحان الخاصة فلكلّ مغنٍ لحن خاص به أو أكثر من لحن، يضع فيه الكثير من الأصوات، إضافة إلى ترقية الآلات الموسيقية وتطويرها.

التعليم الموسيقي والتأليف في العصر العباسي الأول

ذكر ابن النديم كتبًا كثيرة في الغناء، لكن جلّها ضاع ولم يعد له أثر، فمنها كتاب الغناء كتاب النغم للخليل، وأخبار المُغنين لإسحق الموصلي، والآداب الرفيعة في الغناء والمُنادمات لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر ، وكتاب لجحظة البرمكي وحسن بن موسى النصيبي، ولم يبقَ منها إلا كتاب الأغاني لأبي فرج الأصفهاني ولكنّه أخلاه من قواعد الغناء، واكتفى بأن يكون بالصبغة الأدبية في أخبار المُغنيين. كانت الآلات الموسيقية المُستخدمة مُتنوعة مثل المزمار، والناي، والرباب، والعود، والطنبور، والرق، والطبل، والمعزفة، والكلارنيت، وغيرها من الأدوات، وقد أُقيمت المجالس الغنائية في قصور الخلفاء وأصحاب المقامات العليا، واشتهرت خاصة في عهد الرشيد، والمتوكل، والواثق، والمقتدر، وقد تكون هذه المجالس في الأعياد أو المُناسبات مثل أول يوم في الخلافة.كما كانت الجلسات الموسيقية تُعقد في قصور الخلفاء، كانت أيضًا في بيوت الأمراء والوزراء، ولم تكن تقلّ روعة من حيث البذخ والإسراف، وكان يحضرها الناس من مُختلف طبقاتهم.

الموسيقى في العصر العباسي

اتسعت رقعة دولة الخلافة في العصر العباسي، وامتزج الفكر الغربي بالفكر الغربي واليوناني، وسادت حالة من الرخاء الاقتصادي والاستقرار السياسي. أثرت هذه الظروف بشكل مباشر على الفنون بشكل عام والموسيقى بشكل خاص في الدولة العباسية، إذ شهدت الفنون الموسيقية في العصر العباسي نهضة غير مسبوقة، وازدهرت خلال هذا العصر فنون الغناء وانتشرت الذائقة الموسيقية بين العامة بعد أن كانت حكرًا على طبقات المجتمع العليا. وإن كانت النهضة الموسيقية والغنائية عند العرب قد بلغت ذروتها في العصر العباسي إلا أن تاريخ الموسيقى والغناء عندهم يعود إلى قبل ذلك، فالاستمتاع بالموسيقى والطرب والتمايل مع إيقاع سمة بشرية رافقت الإنسان منذ لحظة ظهوره على وجه الأرض.

الموسيقى في العصر العباسي

مع انهيار الدولة الأموية، وإقامة العباسيين لدولتهم، أسس الخلفاء العباسيين دورًا كبيرة للغناء واجتذبوا المطربين والمطربات من كل حدب وصوب، وأغدقوا عليهم بالأموال والجوائز والهداية.

علاقة الخلفاء العباسيين بالموسيقى

اشتهر أول الخلفاء العباسيين، أبو العباس السفاح، بتشجيعه للموسيقى ودعمه للمغنيين والموسيقيين، وعشقه للفنون بمختلف أنواعها، واستمر أخوه الخليفة الثاني، أبو جعفر المنصور المنصور، بابتاع نفس نهج أخيه بدعم الموسيقى والموسيقيين، وكان لحفيديه الجعفر والفضل وابنه يحيى دورًا كبيرًا في نشر ثقافة الموسيقى في الدولة العباسية. استمر هذا الحال في عهد الخليفة الثالث، أبو عبد الله المهدي، الذي كان مغرمًا بالموسيقى، والذي عرف عنه ازدحام قصره بشكل دائم بالموسيقيين، وكان من أهمهم، سياط وحكم الوادي ويزيد حوراء وابراهيم الموصلي وغيرهم.

ازدهرت الموسيقى أيضًا في عهد الخليفة هارون الرسيد، وكان الغناء في عصره على طريقتين، طريقة شيخ الصناعة إبراهيم الموصلي، واتسمت مدرسته بالمحافظة على أصوات القدماء كما رُويت، والالتزام بالأداء دونما زيادة أو نقصان. أما الطريقة الثانية فكانت طريقة إبن جامع، التي كانت سماتها مناقضة لسمات المدرسة الأولى، إذ أعطى إبن جامع نفسه الحق بالتصرف والانطلاق بصوته إلى أقصى مدى بحيث يطّوع أو يخضع النغم لصوته متوخياً استحسان السامعين لهذه الطريقة التي لا يقدر على الإتيان بها إلا من امتلكوا ملكات وموهبة مقومات التنغيم والقدرة على التصرف في مقامات الطرب.

شجع الحليفة المأمون على النهل من الثقافة الموسيقية الإغريقية ورعى الفنون بشكل عام، وكان عم المأمون، ابراهيم المهدي، من أهم موسيقيي عصره. بعد المأمون، تابع الخليفة المعتصم نهج سلفه بالتعامل مع الموسيقى، وصادق المعتصم الفيلسوف والعالم الموسيقي الشهير الكندي، الذي لا تزال أبحاثه تُدرس حتى يومنا هذا.كان الواثق أكثر الخلفاء العباسيين ولعًا بالموسيقى، ووصفه حماد بن إسحاق الموصلي بأنه أعلم الخلفاء بالموسيقى، وبأنه كان بارعًا بالعزف على آلة العود، وكان من بين أشهر الموسيقيين في عهد الواثق كل من إسحاق الموصلي (الذي وصف بأنه عبقري زمانه وأشهر موسيقيي العصر العباسي) ومخارق وعلوية وعمرو بن بانة ومحمد بن الحارث.

وفقًا لأبحاث المستشرق والباحث في مجال الموسيقى البريطاني، هنري فارمر، انتهى بعد الخليفة الواثق العصر الذهبي لموسيقى العصر العباسي وبدأت بعده مرحلة التراجع والانحطاط والسقوط.

تأثير العباسيين على الموسيقى

تمكن العرب في العصر العباسي، وابتداءً من القرن التاسع الميلادي، من ترجمة معظم البحوث المتعلقة بالموسيقى الإغريقية إلى اللغة العربية، بما في ذلك البحوث المرتبطة بالسلم الموسيقي اليوناني والنظريات الموسيقية بشكل عام. وقد اقتبس العرب الكثير من النظريات الموسيقية اليونانية، حتى أن طريقة العزف على العود تغيرت بناء على ما أحدثه هذا الإقتباس من تغيير جذري في الأداء.تمكنت الموسيقى العربية في العصر العباسي من التفوق على الموسيقى الإغريقية بعد أن أضاف العرب قواعد جديدة وأساليب جديدة في العزف والتلحين والأداء.

تعترف اليوم الدوائر الموسيقية الغربية بتمكن العرب بين القرنين التاسع والثالث عشر من وضع حوالي مئتي مصنف متفرع في سائر الفنون والعلوم الموسيقية، كما اعترفوا بالأهمية البالغة والخاصة التي تتمتع بها أربعة من هذه المصنفات التي كان لها أثر كبير على الموسيقى الغربية، وهي:

رسالة في خبر تأليف الألحان للكندي: ويوجد هذا المخطوط الآن في المتحف البريطاني، ويشتمل على أول بحوث في نظرية الموسيقى العربية.

كتاب الموسيقى الكبير للفارابي: الذي يعد أحد أعظم الكتب الموسيقية على الإطلاق.